حضور المدينة في ديوان (النار لا تلهمني غير دمي) للشاعر عبد الوهاب اسماعيل

Presence of the City in The. Collection of Poetry (Fire does not inspire me but my blood)

By The poet Abdullwahab Ismael

د. نوزاد حمد خوشناو
مديرية الاشراف التربوي في كردستان العراق

Dr. Nawzad Hamad Khoshnaw
Directorate of Educational Supervision in Kurdistan Region

Ghassanaziz1966@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٣/٨/١٠	٢٠٢٣/٩/١١

الكلمات المفتاحية: المدينة، الموصل، الهوية، التناص، الوطن

Keywords: The city, Mosul, identity, intertextuality, homeland

الملخص

كانت المدن ولا تزال مصدر الهام وبؤرةَ مقاصد الشعراء، ودراستنا للمدينة في شعر الشاعر (عبد الوهاب اسماعيل)، لا تقتصر على وصف المدينة بمشهدها التقليدي المعروف، ولكن الدراسة تتجه نحو فاعلية المدينة بوصفها ذاتا يعيشها الشاعر ويتماهى في موجوداتها، ويلتقي معها حضاريا، وتتناسق مع حسه الشاعر بتفاصيل أدق وأعمق.

ثيمة المدن وما تحتمله هذه الكلمة من مرجعيات حضارية، وثقافية عريقة جدا.. جعلت الموصل لدى الشاعر الوطن كله، وبتفاصيله كلها، وكأنها مدينة تكونت من مدن عدة، اذ قامت في نشآت قديمة جدا، وتعرضت للاحتلال والدمار والخراب مرات عدة ، ومن ثم تقوم من جديد، وتبني كيانها ، وانسانها.

وتتعرض الدراسة الى قدرة المدينة بوصفها مكانا اجتماعيا قادرا على تحمل تقلبات أحوال الذات الإنسانية، وماتحمله من عواطف واحاسيس ، بتغيرات وضعها الوجودي المهدد على مر العصور.. ويركز الشاعر عبد الوهاب اسماعيل عواطفه الجياشة في صور فنية باذخة في التأمل الأليم في واقع المدينة التي يعدها المهد والأُم ، والرمز، والهوية ، وأرض الشمس والجمال ..وهو ينظر خرابها في العهد المظلم الجديد عهد الاحتلال، على يد برابرة العالم الجديد .يتكون البحث من محاور عدة ، محاولة من الباحِثِ مقاربة النصوص نقديا بوصفه متلقيا للنص، باحثاً عن مواطن الجمال فيه .. من خلال استبطان ذات الشاعر، وما تمثله المدينة والوطن في ذاته وكيانه.

Abstract

Cities were and still are a source of inspiration and the focal point of the poets' purposes. Our study of the city in the poetry of the poet (Abdul Wahhab Ismail) is not limited to describing the city with its well-known traditional scene. The poet's sense of detail and depth.

Mosul and the very ancient civilizational and cultural references that this word bears...it represents the whole country for the poet, with all its details, as if it was a city formed from many cities, as it was established in very old establishments, and was subjected to destruction and devastation several times, and then it rises again and builds its entity , and her human beings.

The study deals with the ability of the city as a social place capable of withstanding the fluctuations of the conditions of the human self, and the emotions and feelings it bears, with changes in its threatened existential status over the ages.. The poet Abdel Wahhab Ismail focuses his energetic emotions in sumptuous artistic images in the painful meditation on the reality of the city that he prepares as the cradle. And the mother, the symbol, the identity, the land of the sun and the beauty..and he looks at its destruction in the new dark era, at the hands of the barbarians of the new world.

The research consists of several axes, an attempt by the researcher to approach the texts critically as a recipient of the text, searching for the places of beauty in it.. through the introspection of the poet, and what Mosul represents in himself and his being.

توطئة

ليس ثَمَةَ فرقٌ كبير بين الأمكنة، وبين اهلها وساكنيها، فعبد الوهاب اسماعيل هو الموصل، والموصل هي عبد الوهاب، وفي هذا الديوان بالذات، إذ المدينة (الموصل) هي الحاضنة لحياته أبداً، رغمَ ما أَصابها من الأوجاع والآلام والكوارث، إنها الموصل في هذا الديوان بؤرة حُبّه الطافح بقوة الشوق، والاثارة، والغرابة، أذا المتصفح لهذا الديوان (النار لا تلهمني غير دمي) يجد نفسهُ داخل مرثية كبرى لها بداية، وليس لها نهاية، انهُ يعيش في المدينة التي لا يقتصر وجودها على البعد الجغرافي المكاني، وهذا الوجود لايعنيه كثيراً، بل يبحث عن وجود آخر داخل قيمٍ شعرية وانسانية، فالامكنة كلها داخل الموصل والتي وردت في قصائده (التفعيلية)، اكتسبت جماليتها من ارتباطها بفنه الشعري، ومن تسامي روح قصيدتهِ المحض.

إن السؤال عن المكان، مرتبطٌ واقعياً بالسؤال عن الوجود الانساني، هذا الوجود الذي تحقق في ظل مكان كأرض الولادة، حارة كانت، أم قرية ، من خلال الرحم الانساني، كرحمٍ أول، ثم يتطور حسب التدرج الخَلقي، الى أن يصبح مدينة متكاملة.

ولا ننسى أن المكان من أهم ملامح القصيدة العربية العتيقة، وقد كان الوقوف على الأطلال في الجاهلية، وظاهرة تعلق الشاعر بالمكان لهُ الاثر الكبير على مجريات القصيدة . واتبعهم شعراء العصر الإسلامي، ومن ثم الأموي والعباسي، إذ الشاعر يركز احساسه بالمكان عبر ذرف الدمع، ونزف الآلام، وهو يرثي الفراق والضياع دون المكان الأصل.

تعريف المكان :

يُعَرفُ الفراهيدي المكان : (المَكنُ، المكنُ بَيضُ الضّبِّ ونحوهِ ضبهُ والواحدُ : مَكَنةٌ والمكان في أصل تقدير الفِعل : مَفْعَل لانهُ موضِع، والدليل على أن المكان مَفَعلْ : ان العرب لا تقول : هو من المكانِ كذا، وكذا إلا بالنصبِ.

وفي موضع آخر يقولُ ابن سيدة : المَكانُ، الموضِعُ، الجمعُ، أَمكِنةٌ وأقذِلةٌ، وأَماكِنْ جمعُ الجَمع)[1] .

وأما اصطلاحاً : (المكانُ عند الحكماءِ هو السَّطحُ الباطنُ من الجنس الحاويْ المَمَاسُ للسطحِ من الجسمِ المَحوُيْ، وعندَ المتكلمين هو الفراغُ المُتوهَّم الذي شغلهُ الجسمُ، ويفقِدُ من أَبعادهُ . وكما يُقررُ (كانتْ) إمتثالٌ ضروريٌّ قلبيْ يقومُ أَساساً بكلَّ الغاياتِ الخارجية فلا يمكن

(١) كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تح : عبد الحميد هنداوي، باب الميم، (م – ك – ن) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣، مج ٤: ١٦١.

تصورُ عدمَ وجود المكان، او اشياء في المكان) [١]. الشاعر (عبد الوهاب اسماعيل) شاعرٌ موصلي من مواليد ١٩٤٥ في منطقة باب جديد – المنطقة القديمة، له عدة دواوين وقصص ممسرحة وجوائز عدة وهو عضو في اتحاد ادباء العراق فرع نينوى.

.علاقة الشخصية بالمكان :

إن ادراك المكان هو إدراك فطري مُتَّصل (بالوجدان البشري إذ تكون العلاقة بينهما علاقة الطفل بأمه فكل منهما يحتاج الآخر، سواء أكان هذا المكان موطن الألفة لديه، أو هو مكان مفقود عندهُ وضائع) [٢].

وقد إختلفت لغة الشعراء المعاصرين في الأداء، مما جعل للمدينة بعدها النفسي الذي يسيطر على قَصدِّية النص، اذ (إن المدينة كموضوع، فكرة شديدة المعاصرة، ترتبط بالقرن العشرين ومنجزاته، اذ ينطلق الشعر المعاصر من مفهوم حضاري في تصور جديد للكون، والمجتمع، والانسان بِفعلٍ من الثورة العالمية في مستوياتها الاجتماعية والفكرية والتكنولوجية)[٣].

وبشكلٍ ملفتٍ للنظر، ممكناً القول : أإن المدينة كانت قيمة شعرية في ثنيات دواوين شعراء العصرِ الحديث، من السياب، والبياتي، ونازك، وصلاح عبد الصبور، الى شعراء الجيل اللّاحق عدنان الصائغ، ومعد الجبوري، وسعدي يوسف، وغيرهم الكثير لايتسع المقام لذكرهم، إذ تسلَّل شعورُ الالتصاق بالمدينة على مدار تجاربهم الشعرية، إذ تقتضي الحداثة أَن يكون الشاعر معبراً عن تَصورٍ حديث للعالم، وعلاقاته الإنسانية (بحيث تجاوز الواقع الى العمل، وتركيزِ جهود الانسان لِتَغيرِ العالم والمجتمع، فموضوع الفنِّ هو خلقُ النشاط الانساني، كما عبر عن ذلك أَحد النقاد) [٤]، أُنظر كيف يصور الشاعر عبد الوهاب شكل المدينة بوصفها كيانا آمنا يقول في قصيدة (إنه وطن) :

إنه وطنٌ

يشرع الباب شباكه

---

(١) البعد الزماني والمكاني واثرهما في التعامل مع النص الشعري، سعيد بن محمد بوهراوة، دار النفائس، دار الفجر، عمان – الاردن، ط١، ١٩٩٩: ٢٢-٢٣.

(٢) ينظر، تنمية المدينة في الخطاب الشعري، أحمد قيطون، عمار حلامة، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد ٦،٢٠١٦ : ٦٢ .

(٣) المدينة في الشعر العربي المعاصر، مختار علي ابو غالي، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٩٦، ١٩٧٨: ٧١.

(٤) اوراق في الرياح، اودونيس، دار العودة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧١: ٦١.

وينادي على الواقفينْ..
انه وطنٌ
قدرٌ وادعٌ من حجر..
انه وطن..
جمرة الآمنين..
قمر وشوارع محروقةً
ومزالقُ تفضي الى ثمرٍ
في جحيم الشجرْ(١).

المدينة الوطن والهُوية :

الهُوية الحقيقية للشعوب هي الوطن، وليسَ الخريطة الجغرافية، ولا شهادة الميلاد، فهو المنفى في الداخل، والاملُ في الخارج، هو يرى الموصل بعد الدمار، كفردوس مفقود، تناثر وأندثر بفعلٍ مقصود عاشتهُ الموصل ،المدينة الأكثر دماراً وخراباً لتاريخيها الذي يمثل وجهَ العراق الحضاري والعلمي، فبذلك أَصبح الألم والحزن، والفجيعة، والخراب، مرادفاً للوطن، بعد الاحتلال، وقد اشترك معظم شعراء مدينة الموصل في هذه الدلالات المُجسِّدة لحجم الدمار والمعاناة كما يذكرها في قصائدهِ .. انهُ العاشق الفاقد للحبيبة الأولى يبكيها، وهو ابن السبعين بدموع والمٍ مُرٍ، وعَبراتٍ لاتهجع من أول الديوان الى أخرهِ، موجةٌ من الصراخ بوجه العالم، الذي أَتى على الغالي والنفيس إذ يقول في قصيدة(هكذا اذرع المملكة) :

هكذا يازمن
تفتدي العصرَ اثمارنا
ودم الموت
خلف الطلول
هكذا يامحنْ..
صار أن يصطفيك الرّدى
عن سموم الدمَنْ..
لتلمُ عناوينَها
كي نسمّي براءاتِ اقدارنا

---

(١) ديوان النار لا تلهمني غير دمي، عبد الوهاب اسماعيل، مطبعة الديار، بغداد ٢٠١٣، ط١: ٥٨.

في الدياجي وطنْ.. (١)

ولَعلَ تمثلات صور المدينة في شعر عبد الوهاب اسماعيل تعد معادلًا موضوعياً للوطن اذ الوطن جميعه يمر بازمة احتلال وضياع من الشمال الى الجنوب ، إذ يتداخل فضاء الامكنة التي كلها تمثل الموصل كوطن، يتحرّك فيه الشاعر، عندما تتفاعل فيه الأحاسيس العميقة التي تحرّك ذاته باتجاه هدفها، إذ تنفتح على فعالياتها المنتجة، والدالة على الهوية الذات، والهوية الوطن.

يستلزم مفهوم الهوية العلاقة بالآخر. ويعني ذلك أن مفهوم الهُوية يتكون في وقت مبكر جدا في الحياة ،لأن العلاقة مع الاخرين تبدأ، منذ الولادة ،ولا معنى للهوية، إلا في سياق يعيش فيه أشخاص آخرون، يقول في قصيدة (ضياع المرايا) :

رد لي جرحي الذي
يختصر العالمَ.
في ومضة حزنٍ دائمةْ..
رُدَّ لي دمعي الذي
يعتصر الضوءَ
. وجفن الأُغنيات..
كلما حدثتُ أعوامي
وتهاوت فوق جدراني
سقوف هائمة.. (٢)

هويتنا ليست جامدة، وأشكالها ليست نهائية، فهي تحتمل أن تشمل على أحوال وأشكال أخرى.

والمشهد الإنساني لا يرتبط فقط برغباتنا، أو إرادتنا، إنما برغبات وإرادات أطراف أُخرى كذلك.

إن الحياة تتمثل من أشكال من الحركة والتغيير، لذلك فالهوية متحركة ومتغيره، إذ يقول محمود درويش: "لا أَخجل من هويتي، فهي ما زالت قيد التأليف. الهوية هي: ما نُورث لا ما نَرِث. ما نخترع لا ما نتذكر (٣).

---

(١) الديوان : ٦٧.

(٢) المصدر نفسه :٧١.

(٣) الهويات القاتلة. قراءات في الانتماء والعولمة، معلوف، أمين، ترجمة: نبيل محسن.- دمشق: دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع.١٩٩٩: ٧٦.

الهوية هي مجموع الشارات، والسمات، والمميزات الخاصة لدى الإنسان التي يكتسبها، ويطورها من خلال حياته منذ الولادة، عبر العلاقات المتبادلة مع البيئة، حتى يعي أنه مخلوق منفصل عن الآخرين، أي هو بمثابة بطاقة تعريف للفرد، التي تعبّر عن وجوده الانساني المحض في الحياة من خلال الوطن.

١-رمزية الوطن _ المنفى

يُشكلُّ الوطن في الشعر العربي المعاصر ثيمة مكانية مهمة، وأن التقاطب المكانيِّ الذي ميزه، هو ثنائية الوطن- والمنفى، وما أشد غُربةَ الشاعر داخِلَ الوطن، والعراقيون شعبٌ مبتلى يعيش هذهِ الظروف القاسية منذُ أمدٍ بعيد، إذ توالت عليه الحروب، والنكبات وساسهُ الجَهَلَةُ، وحكمهُ المتجبِرونَ بقوة السيف، وبدستورِ الظلم والخديعة.

وبعيدا عن تنظيرات الوطن والمنفى الذين توالى كثيرون في طرحهما في الدراسات النقدية الحداثية وما بعد الحداثية، اذ الوطن دالّا ذا أهمية كبيرة برمزيته وإيحائه وكشفه، وقريبا من الاجراء الذي كثيرا ما يذيب الحدود بين الانطباعي والأكاديمي، فان عبد الوهاب شاعر يتحسس إشكالات الوجود، وينصهر مع هموم الوطن ، ويتغلغل في نبض وجدانه، ويتذوق سحر العذاب، ومن الظواهر التي تشتغل كثيرا في ديوانه ظاهرة الحنين بوصفه منبع ابداعي مهم .ومنفى داخليا وخارجيا، يتصّاعد من أعماق الجوهر.

إن الموصل هذه الحاضرة العظيمة التي تعرضت للدمار الكامل والمحو من الوجود، حَكم عليها الأَعداء بالاعدام، وعلى أَهلها بالموت، والاجبار على الموت.

وتبقى المدينة المنفية هي المكانُ الذي يمثل الوطن بالنسبة للشاعر، وهي مدينتهُ الفاضلة التي تتمظهر في تأويلات القصيدة التي تمتاز بالعمق، وذات قوة دافعة الى التامل في ابديات الشعر وحرارته وفيض شجنه ودافعية فاعليته في افق التلقي.. منفى حقيقي يعبر عنه بالمباشرة بجوهر العلاقة بين الدال والمدلول ، إذ يقول في قصيدة (غصة الورد) :

كلما أدلو معَ النار بدلوي....
وبقايا الشيبِ
أرشوها بأضلاعي
وتذوي...
تُصدِرُ الساعةُ
من قُمقُمِ احلامي
وتُشجيني ورودي..
الى أن يقول:
كيفَ جئتِ الآن؟
لي بين خبايا

صمتكِ الآثمِ

ذكرى صبواتٍ ضاريةٍ..

هل ابيحُ السّرَّ للناس؟

لقد انستُ ضبياً،

وترصدّتُ لهُ

كل السطورِ العاريةْ.. (١)

إنهُ العاشقُ الذي فقد الشعور بوجوده بعدما حلّ ببيته (الموصل) ما حلّ من خراب ودمار،. وإننا امام الدلالة التي هي من طبيعة الشعر في أصول انبثاقه الانفعالي متلونا بتجربة الشاعر ، وفي احوال أدائه لمهمّته الفنية، مستفزا عاطفة القارئ وحركة عقله وخياله، فيلجأ بوعيه أو دونه إلى ألوان من الأساليب البلاغية تحاول أن تنقل المعنى وأن تصف قوة التجربة بطريق فيه التفاف ودوران ومناورة وتلميح، فنجاح الشاعر في أدائه الشعري، توصيلا لحركة المعنى، واستحواذا على قلب القارئ.

ويرى طفولتهُ المنفية بالخيبات الفردية، اتسعت بخيبة أملهِ في العودة الى تلكِ الديار، فلا الدارُ هي الدار، والأبواب السبع لا توصلهُ اليها.

اذن أَينَ هي الموصل ؟،واين معادلها الموضوعي؟، فهو لم يجد غير الدمار والخراب، والرعب على وجهِها المستباح.

وها هو الشَجَنُ يُؤطِّر أَطراف القصيدة ومعانيها، والشاعر يمتلكُ القدرة الفائقة على تصوير الأشياء بطريقة تراجيدية .. إذ يقولُ :

أدفع الدهرَ

فمن اقصى ثغور الارض

تذروك السماواتُ الثقال.....

اتبع العمر غواياتٍ

ستدميك بواكيه

وتبكيهِ

فجمرُ الموصل..

مثلهُ مثلكَ

احنى سنبل الوقتِ

وضلع المنجل

---

(١) الديوان :٥٤.

مثلهُ مثلكَ

جلمودٌ

رماهُ الشوقُ عصراً

من عَلِ ١٠٠

حتى يقول:

. هاهنا يكسر الشوطُ

فقومي وانزلي..

انهُ التيارُ يدمينا

وهذا منزلي

.....

هل تُنيليني جنى الصبرِ... (١) .

وكَانهُ يخاطب الطَلل، بل يُنزاحُ الموضوعُ من الخارج النصّي المؤلم الى داخلٍ نصيٍّ ليحقق مونولوجا يكرس ذهاب المكان وأندثارها، (وعلى هذه يقف الحاضر والماضي لقطبين متقابلين يحكُمان المكان فيمثل الاول ال (هنا) المخرّب ويمثلُ الثاني ال (الهُناك) الذي كان يؤمِّنُ السعادة ثم يَنتهي جدلَ الحركتين القائم في مخيلة الشاعر الى طغيان الصورة الآنية، وسيطرة الحاضر بعذاباتهِ، بينما يأخذ الماضي بأمكنتهِ في التلاشي والغياب)(٢).

واية، إذ يمثل كثافة الوجود، وجمال الأشياء وما حولها من أسئلة الوجود.

٣-المدينة بين العنوان والمتن

إن قوة الرابط الدلالي بين العنوان والمتن، تحفز دلالات عنوانات المتن ونصوصه الى الافصاح عن ذاتها دون الحاجة الى استبطان، أو تأويل، أو مماحكات نقدية معمقة ،فالشاعر في ديوانه يبني النص على تطابق تام بين ذاته ونصه تماما فالنار تلهمه دمه وتلتهم حرقاته وحنقه.

وكما أسلفنا، اذ الشاعر ذات المدينة، (هوية ورمزا) .. ذوبان شديد للانا في الآخر عبر النص.

---

(١) الديوان: ١٠٢ .

(٢) بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨: ٧١ .

العنوان بوصفه حاملاً دلالياً لما في داخل النص فهو بذلك (يمثل متنه الشعري ويحيل اليه) [١] ولا أُغالي إن قلت: أن عبد الوهاب اسماعيل اشتغل على العنوان الكبير والدال الأول (النار لا تُلهمني غير دمي) وعلى جميع ما في المتن من قصائد، فالمدينة كانت حاضرة في كل المتون النصية الواردة تقريبا اشارة، أو اسما صريحا مجازيا، مما حدا بنا ان نبحث في هذا العنوان كفضاء كبير يمكن للمتلقي وببساطة ايجاد العلاقة الحميمية وقبولها مباشرة، فالتطابق متحقق فعلاً بين المتن والعنوان.

وعند مطالعتنا لنصوص الديوان وعنواناتها نجد (ماذا؟.. ، وهل يجدي الكلام، هكذا، اودعني في الظلّ المسجور ، سؤال ،موجة، غصة الورد، ايها الوجه المليح...) هذه العنوانات المباشرة والواقعية التي لا تنزاح إلا الى مرجعيات حضارية ومَدِينية تمثل المدينة والوطن حصراً، بوعاء عنواني يشير متنه الى (الموصل) التي تتضمن مناطقها، والتي تُعنونُ نفسها وتفصح عن المدينة واهلها بوصفها الأم .

فهو يتناص مع عنوان الديوان مباشرة داخل المتن الشعري ليعطي القصيدة مساحات يسرح في تفسيرها المتلقي ليفك رموزها الداخلية.، اذ يقول في قصيدة (ذاكرة الريح) :

لم أكنْ
اوصدت بواباتِ احلامي
وغنيتُ
فسافَ القلبُ في أحنائهِ
هما وغَمْ
لم أكن ولّيتُ اوهامي
على الخلقِ
ولكني دفعتُ الأرضَ
في مجمرةِ الزهرةِ
حتى امتلأتْ أردانها
قيحاً ودمْ. [٢]

في هذه الاصوات الموزعة في ثنيات القصيدة مباشرةٌ وعميقة تبتغي الافصاح بتركيز صورة العشق الذاوي في ذات الشاعر، اذ إنه مارس الاستذكار باقصى طاقاته، وكيف

(١) سيميائية العنوان: ٨٩.
(٢) الديوان: ٧٦ .

تحول الالم العميق الى احتقان داخل قلبه (قيحا ودما، وهما وغما) بتوليف مباشر مع عنوان القصيدة دون أي مرجعيات أخرى غير مرجعية المدينة العتيقة .

فواضح من العنوان بوصفه نصا مستقلا حضور شخصية الشاعر المندمج بهمومه روحا وجسدا، فهو لا يتحدث بوصفه ذاتا مجهولة أو متخيلة ، بل آن الانا أناهُ بقوله (فساف القلب) ، اذن هو الاندماج والذوبان في صورة المدينة وروحها على مستوى الدوال جميعا.

(العنوان اشارة سيميائية مشفَّرة تواجه القاريء قبل دخوله الى عالم النص ،تلحُّ عليه بالوقوف وفك شفرتها وقراءة النص في ضوء ما تدلي به هذه الشارة من دلالة قد تتوافق او تتقاطع اوحتى تشوش على الدلالة العامة للمتن) [١].

إن اختيار الشاعر لعنواناته لاتتاتى من فراغ ، فالشاعر بوصفه مبدعا ومثقفا يحمل ذاكرة وملكة تمكنه من مضامينه الشعرية عامة، والعنوانات خاصة ،والعنوان والعنونة عملية غاية في الصعوبة، إذ العمل النصي يحتاج الى عنوان جامع بانزياحاته وتوليفاته المقطعية والكلمية لما قد يأتي خلال النصوص ، والصعوبة تكمن في اختيار اسماء المجموعات كما يصرح بذلك الكثير من الشعراء، والكتاب المعاصرين .

وكان الامر لدى شاعرنا (عبد الوهاب) اختيار القصائد التي عنونت نفسها ،فروح الوطن كثيمة مضمرة (البؤرة) يتولد عنها الكثير من التفرعات التي لا يصعب على الكاتب ايرادها، والقاريء على قبولها ..فهي فسيفساء تتشكل كعُقد متنوع الجواهر ..لفظة تستدعي المباشرة في ديوان كله رثاء وبكاء على طلل عفى وغاب وجسد بلى، وكان للانا والاخر وتداخلات الالم الحيز الكبير من الحوار والافصاح داخل وخارج النص بوصفه منجزاً ابداعياً(انا /الاخر)..(انا /الألم) .

إذ إَن الحديث في داخل المتن النصي كان حديثا داخل نص كبير مدمج بعنواناته، رهينا بما يبث النص من مقاربات تأويلية، لا تذهب بعيدا عن عنوان الديوان الاصل أيضا.

أما التناص الذاتي فهو (اعادة الشاعر نفسه في نصوص لاحقة لنصوصه السابقة ، سواءً بصيغ التعبير، أو الإلتفاف على بعض المعاني والافكار ، ويبدو أن من اسباب ذلك انتاج الافكار وبشكل دائم وأكثر فنية ، أو لموقف يستثير موقفا مشابها للنصوص السابقة ولغير ذلك من الاسباب) [٢] .

ومن ثم يستثير القصائد الأخيرة بوصفها خلاصة لقصائد الديوان ،فيها يصور معاني الشيخوخة والضعف الذي أصابه ومدينته بعد الاحتلال، شحن بها صور لاحوال المدينة ، وقد

---

(١) سيميائية العنوان ، بسام موسى قطوس ، وزارة الثقافة ، عمان – الاردن ، ٢٠٠١ : ٥٧.

(٢) التناص انماطه ووظائفه في شعر محمد رضى الشبيبي، علي متعب جاسم، كلية التربية، جامعة ديالى ، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، م٢، ع١٠، ٢٠١٢ :٣٩ .

أعطى قصائده عنوانات ذاتية ، تشخصها الدلالة التي تستدعي التأمل في داخل النص، والبحث عن العلاقة .

فيُعنونُ قصائده الأخيرة (موجة رهان، مرآة، كائن الموج، شباط في قمر مرآة..)، كل هذه العتبات العنوانية دوال تنزاح الى معطيات استعارية تتجول في دقائق المكان، لتبدي للقارئ حجم المفارقة التاريخية المتقابلة مع فاعلية النار التي أصابت الوطن والانسان الذين تجمعهم المدينة كونه الأول ومثواه الأخير، بحيث تغير شكله و شكلها وصورتها، وأحوالها تماما ، وكما تغير هو كذلك ولذات الأسباب ، إذن يبوح لنا في قصيدة (غصَّة الورد) والتي جعلها كمتواليات ايقاعية نفسية، بابعاد مجازية مبهرة إذ يقول:

كلما أدنو من النار بدلوي
وبقايا الشّيب
أرشوها بأضلاعيْ
وتذوي
تصدُرُ الساعةُ
من قمقمِ احلامي
وتشجيني ورودي
أرجع الشوقَ،
فهزي لي بجذعِ الاثمِ
عوداً مثل أغصاني
وعودي..
حتى يقول:
كان عمراً صرصراً
هامت مراجيح المنى فيهِ
وغامَتْ غصَنَةُ الوردِ
بأحداق الفراش. "[1]

عبارات دالة داخل نص ليس له مرجعيات تأريخية، أو دينية، أو سياسية، قدر ما هو محمول على الذات ...بكل الآمها وأساها، وقد قسِّم عمرها–اي الذات–على محطات، بمعنى إنه لخص الحياة وذاته في الديوان في هذه القصيدة، وهذا يعني (إمكانية قراءة عدة

(١) الديوان: ٩٣–٩٥ .

نصوص من خلال نص واحد ،اعتمادا على حصافة القاريء وقدرته ودقة وعيه والتراكم المعرفي لديه) [١] .

فقسَّم القصيدة الى محطات وشواطئ كان اخرها ذهاب المدينة وعمره على السواء ، فكانت المحطة الأخيرة.. **(ان ذهبت وغامت باحداق الفراش)**

فكانت المدينة بهذا المشهد الرهيب المريض التي وصفها بعمر بائس ...ليُحمِّل هذه المفارقة الصارخة أسباب النكسة ، فلم يبق شيء الا تغير في مشهد سقوط دراماتيكي.. نشم منه رائحة الضياء والانكسار.. يقول في نص (مرحبا) :

كل ما عندي ترامىْ
حيثُ شاءتْ سفنُ العمرِ بن
لا حيث شينا.....
.....
.....
كل ماعندي تعامى
صارَ عودي مطفأً الكبريت،
لا تضرمه النارُ، ولا يحتكُ بالنار.. ولا يشعل طينا.،.. "[٢]

(١) الذنب والخرافة المهضومة، داؤد سالم الشويلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، د.ط، ٢٠٠١ : ٢٦ .

(٢) الديوان: ١٢٩-١٣٠ .

الإستنتاجات

١- الحديث عن مكانية النص وزمانيته في الشعر، هو عملية دمج وتفاعل ،إذ يدرس الأول عبر الثاني ،وتساعد التواشجات المكانية على مقاربة الزمن في النص الشعري، والقبض على خصائصه ومدلولاته.. رابطين بين النص بوصفه شكلا بصريا ، وبين تلقيه وتذوقه، كما أشرنا سابقا، إذ إن الكلام عن مكانية النص الشعري هو تقصٍ لكل عناصر التواصل، والتي تسهم في تشكيل صورة النص على الصفحة الشعرية .وتبقى المدينة بوصفها مكانا وهُوية وحضور شعري، هي ضحية لزمن أساء الى كينونتها وجمالها، ليجسِّمها الشاعر في مسرحه الرثائي الشخصي بضخِّها بالرسوم والصور الباذخة في التأمل والمؤثثة بالبياض والسواد. ولم نتعرض للزمن في تحليلاتنا لانه يختلف في الشعر عنه في الرواية، اذ الزمانية في الشعر عملية منقطعة، والملفت أن الكثير من الشعراء يتحرك الزمن في قصائدهم بهيئة زمن متخيل، أو زمناً مرحلياً مؤقتا سكونياً، رهين لحظته الشعرية،لا يكاد يتعدها،أي لا يتحرك الزمن فيها إلا في اضيق نطاق، ولا يتعدى النص أو الزمن الشعري الداخلي للقصيدة،ومثل هذه القصائد تكون رهينة زمنيتها،ورهينة المعانات التي عاشها الشاعر عبد الوهاب اسماعيل خلقت نوعا من الرابطة الوجدانية بينه وبين الشعر من جهة ، وبينه والمكان من جهة اخرى بوصفه منفى كبيرا ، وهي كذلك مصدر الدهشة الأولى ،وملاعب الصبا والجمال، إذ يبقى الفنان الحقيقي يحاكي بفنهِ تلك الأماكن بوصفها رموزا دلالية مركزة .

٢- تمثل علاقات تشكيل البناء اللفظي دلالاتها بمسّوغ معيّن في علاقاتها، وعلاقات غائبة بين السطور ذات بنية عميقة، تمثل علاقات الدلالة والترميز، ولذلك ففي المحورين لا يكون الدال إلا رمزا يشير باتجاه الغياب؛ ولهذا علينا أن نسعى إلى تعويم المدلول، واستحضار المغّيب بحثا عن تفاعل مستمر للمدلولات، على وفق تعدد قراءات الدوال مما يفيض إلى لا نهائية الدلالة. ويتمثل الشاعر حالة السمو بالرمز والهوية عندما يبحث عن الكمال سواء في ذات، (المدينة) اوفي نصه الشعري ،والشاعر (عبد الوهاب اسماعيل) يبحث عن حلمه الضائع المبعثر المفقود، الذي ضاع في زمن الخسارات والاحتلال ، والظلام ، وهو يمنح ماتبقى من العمر سواءً الزمني أو الفني (الشعري) في

لعبة المتناقضات الحياتية تلك ،ليتلاشى العمر في شمولية الفيض البشري المقيم بسرمديته ،جاعلا من الفناء أَزلاً مؤجلاً الى حين .

٣- البناء اللغوي للنصوص بناءٌ مبسطا سلسا لكل نوع من القرّاء ومنفتح على قراءات عديدة ،إذ إنه يخلو من اللعبة اللفظية والمعجمية، ليتيح لمساحاته المتنوعة الاطلاع على حجم جرائم الاحتلال، بل عوض ذلك بالعمق التأملي، وهو يبوح بحرقة النار ، وبسبك درامي من خلال بحور البسيط والوافر والرجز، الذين وفروا جوا ايقاعيا وأنعشوا النصوص وسرَّعوا وتيرة انسياب الجُمل الشعرية .

ثبت المصـــادر

- اوراق في الرياح، اودونيس، دار العودة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧١.
- البعد الزماني والمكاني واثرهما في التعامل مع النص الشعري، سعيد بن محمد بوهراوة، دار النفائس، دار الفجر، عمان – الاردن، ط١، ١٩٩٩.
- بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨.
- التناص انماطه ووظائفه في شعر محمد رضى الشبيبي، علي متعب جاسم، كلية التربية، جامعة ديالى، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، م٢، ع١٠، ٢٠١٢ .
- تنمية المدينة في الخطاب الشعري، أحمد قيطون، عمار حلامة، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد،٢٠١٦ .
- جماليات الاسلوب والصورة الفنية في الادب العربي، فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، ١٩٩٠.
- ديوان النار لا تلهمني غير دمي، عبد الوهاب اسماعيل، مطبعة الديار، بغداد ،ط١، ٢٠١٣.
- الذنب والخرافة المهضومة، داؤد سالم الشويلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، ٢٠٠١.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨.
- سيميائية العنوان، بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، عمان – الاردن ، ٢٠٠١ .
- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تح : عبد الحميد هنداوي، باب الميم، (م– ك– ن) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣، مج ٤.
- المدينة في الشعر العربي المعاصر، مختار علي ابو غالي، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٩٦، ١٩٧٨.
- الهويات القاتلة. قراءات في الانتماء والعولمة، معلوف، أمين، ترجمة: نبيل محسن.– دمشق: دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع.١٩٩٩ .